قَرَرْتُ انْ اُؤْمِنْ بِفِي الْجَنَّةِ

قَرَرْتُ انْ اُؤْمِنْ فِي الْجَنَّةِ

تأليف

حلا فخري العريان

الاهداء:

لمشاعرنا كلّنا، لقلوبنا التي لم تسلَم من شرّ أحدهم.

الى الجزء المكسور فيك، الجزء الخائف منك.

الاهداء لكآبتنا الظاهرة والخامنة في البقيّة.

الساعة الخامسة صباحا، ترددات صوتية، لا لم يكن المنبه،كان عقلي اللّعين فبعد أن تعدّى عمري الثلاثين أصبح رأسي يعمل دور المنبّهات المملّة،أعتقد انه أسوأ اختراع على الاطلاق،اللّعنة على علمكم وتقدّمكم الذي أدّى بي العمل مثل آلة، من الجمادات.

وأخيرا ساندتني قدماي لأصل للحمام،لم أرتدي الحذاء في قدمي،بل دخلته مباشرة.

حسنا أنا الكئيب المقرف أيضا.

لا طبعا،لست بذاك الشخص شحيح النظافة،ولست قليل الحيلة لأرتدي في قدمي، بل كنت اعزبا.

قبل النوم كالمعتاد أقوم بتنظيف أرضيّة الحمام من زواياه فحوافه فوسطه لأوله،وأتأكد بعد ذلك أنني لن أدخله مرة أخرى حتى لا يتّسخ منّي.

بصدق، أشعر احيانا أنني اخاف على مشاعر حمامي أكثر من مشاعري بحد ذاتها، فكما ذكرت أنا أعزب.

مررت بأسوأ ليلة على الاطلاق،جاري المتزوج من الفتاة داكنة البشرة تلك،كان أشقرا.

في كل مرة يتشاجرون فيها يعيرها ببشرتها التي يدّعي أنها أصبحت مملوءة بعلامات السهر والإجهاد،وتعيره هي بعدم حبه لها كالسابق،وتصبح تلقي عليه التهمات أنه يخونها مع واحده أجمل منها وأكثر أنوثة.

احترق دمي عليها،يا لها من مسكينة غبية،وأخيرا صادفت شخصا اغبى من المنبه.

جلست أفكر في حالها واحساسها بأن زوجها لا يراها الاجمل،وفكرت في حالي في اللحظة تلك، اذ أنني متزوج الآن سأرى امرأتي بالكون كله.

وبدأت حينها تتداخل أفكاري ...

فأذ بي أشم رائحة غريبة،هل من الممكن الزوجة جن جنونها وأحرقت زوجها ؟ أم البيت ؟ولكنهم كانوا على المائدة يأكلون... أوه يأكلون..

الأكل.... الدجاجة على النار،آه انها احترقت ياربي،ماذا سآكل الآن ؟

المال ليس كاف لشيء... وكان الوقت متأخر.

يحزنني أنني أكلت أكلي المعتاد،(النودلز)،يقال انها أكلة الفقراء مثلي.

أطفأت الغاز على الدجاجة، تأملت أن أرى جزء منها ولو بسيط ليس ملتهب،وأسود اللون، لكنني لم أجد وتناولت النودلز بكل تواضع.

بعدما أكملت تنظيف البيت وتأكدت خصوصا من نظافة المرآة ذهبت لسريري،سيتسآءل عقلك الأن لم المرآة خصوصا؟

في كل صباح عندما أستيقظ أفر للمرآة لعلّي ألقى شخصا أكثر سعادة وحياة في وجهه. لكنني الى يومنا هذا لا أرى على المرآة سوى شخصا أشحب البشرة، شعره ممتلئ بالشيب والكبر.

على أية حال،سريري هو الجزء الأدفأ في حياتي،الجلسة عليه في آخر اليوم مثل فاصل في معركة.

يخر أصحابها لبيوتهم ولكن في الوقت ذاته، أنّ الشعور أشبه بأن كل يوم يعودون فيه لبيوتهم وهم فاقدين صديق، أو جزء من انفسهم أو شعورهم، مثل حالي تماما، أهرب لفراشي كل يوم وأنا مستنزف تماما.

تمتمات حب، مشاعر فياضة، همسات خافتة تصل الى أذناي،هل هي حب حياتي وصلتني بعد معركة مع الحياة هي الأخرى ؟

سمعت كلمة سامر... هل اسمي سامر أيضا ؟

لا أنه جاري المتزوج ذاته، يبدو أن السلام عمّ بينهم كالعادة، ويحظون بليلة رائعة للغاية.

حسنا، أنا لا أرفض الحب والسلام،ولكن ماذا عني ؟ لم أحظَ بغداء جيد بسبب انشغال عقلي في التفكير بزوجته وحالها،احترقت دجاجتي..

حسنًا لن أغضب...

وأنا أحدّق في اللاشيء، خطر في بالي سؤال، لماذا لا يتهامسون العراك مثلما تهامسوا الحب ؟

سؤال غبي من عقل متعفّن، بسهولة لأن الغضب صوته أعلى من الحب، ففي الحب هدوء وسكينة ولطف خافت.

أما الغضب ففيه الصراخ والضوضاء والاحتراق أيضا...

بصراحة، لم أتمكن من تخطي دجاجتي المحروقة.

صوت اسعاف !

جاري الآخر، بيته يتكاثر، فامرأته حامل،بعد دقائق قليلة ستحيا روح جديدة في هذا الشارع اليائس،يا ترى هل هو الشخص المنشود ؟

هل هو الطفل الذي تنتظره الحياة ليشارك في اصلاحها أم أنه مجرد طفل غبي ؟ سيقلق نومنا بصوته ليلا فحسب، ليغدو واحدا من اليائسين هنا !

بدأت حينها أفكر في نفسي وأنا متزوج من فتاة مثالية شعرها طويل أشقر مختلط باللون البني، في عيون عسلية، وجه مرسوم، حواجب جميلة،أشبه بفتيات Hollywood، بجسم رشيق، بصراحة لا أريدها طويلة.

ولكن، من أنا لأتزوج فتاة بتلك المواصفات ؟ مثلما يقال '' لامنظر ولا محضر '' حتى وان تزوجت باحداهن، فبأي طفل سأحظى ؟

فاذا تزوج شخص يائس مثلي من فتاة باحتمالية كبيرة أن تكون هي الأخرى يائسة مثلي، هل سأنجب طفل فكاهي، محب للحياة ؟ لا طبعا، فبالتأكيد سأورثه حظي العاثر، حزني، قلقي وجسمي السمين أيضا.

تصادمت أنظاري مع الساعة، فاذا بها تمشي ببطء، أوه هل تعطلت ؟

سارعت للتأكد من الساعة في هاتفي المحمول، حسنا بدا أن العطل بسيط،ساعة الجدار متأخرة عن ساعة الهاتف بخمس ثوان..

انها الوحدة تجعلك تلاحظ أدق التفاصيل، لتغدو مثل آلة خارقة بلا احساس.

قمت من فراشي لأصلحها،من سيقنعني أن الثواني ليست بالمؤثر في حياتنا، فأساساً العمر ضائع، فلم القلق بالوقت ؟

عدت لسريري ولكن هذه المرة لم أطفئ النور كما اعتدت منذ خمس سنوات، فقد كنت دوما تحت احساس القلق بأن يحدث شيء ويفوتني، وغدت شخصا قلقا، غريب الأطوار، مثل النساء تماما، أشك في كل شيء حي يتنفس، أخاف أن يعرف مثلا جاري ما لا أعرفه،أخاف أن يشعر جاري الآخر بالسعادة ولا أشهد على ذلك.

بدون مبالغة،منذ خمس سنوات للآن وأنا حاضر على كل مشاكل جاري سامر مع زوجته غيداء، ولحظاتهم الرّومانسية طبعًا (التي كانت نادرة الحدوث).

أذكر الوقت الذي عرفت فيه اسم زوجته، في تلك الليلة باح باسمها ليلا وهم في عراك سويا .

لم أكن على علم باسمها من قبل، فكان يناديها بالشارع باسم " أم محمد"

ولكن أين محمد ؟ لم يجيء بعد...

فكرت في حال سامر، لم يبدو شخصا مستعرا باسم زوجته ؟ انه مثير للشفقة وأبله، ولا يحبها فعلا ولا يقدرها حتى، فهو لا يعترف باسمها فكيف سيعترف فيها بحد ذاتها ؟

فخضتُ لحظة إدراك بعد ثوانٍ بأن سامر لم يكن بذلك الشخص الحقير لهذه الدرجة كما نعتته أعلاه.. ولكن كان فاقدا لشعور الأبوة.

على الرغم من سوء الاوضاع المادية التي تجول الكون وسوء الحالة المعنوية والعجز عن التفكير الايجابي، الا أنّ الانسان بحاجة لتنخلق روح جديدة منه.

صحيح وجود الأطفال اللذين بين العام – لخمسة أعوام، يكونون في حالة غريبة ! مفرطون الحركة أولئك قادرين على جعلك أن تشعر أنك حي.

وعلى الرغم من أن الأطفال ذو ست سنين – خمسة عشر سنة،يكونون طموحين لدرجة تشعرك أنك يائس بشكل غير طبيعي، الا انهم يشعرونك أن هناك أمل طفيف لتعود الحياة لطبيعتها.

وعلى الرغم من أن الابناء ذو خمسة عشر سنة –واحد وعشرين سنة، يشعرونك أنك لست كاف لهم مهما قدمت ومهما ضحيت، الا انهم يشعرونك بالامان بوجود سند في الآخرة على الأقل.

ولكن سامر ! أنت لست بذاك الشخص القادر على حمل مسؤولية نفسه فكيف ستستطيع أن تكون أب ؟

أذكر مرة كانت زوجته في العمل وهو في المنزل يطيل النظر للتلفاز، فقد شاهدته من حفة الباب يوقع عبوة البيبسي ولم يباشر في رفعها عن الأرض...

أنت حقا لا تستحق العيش حتى !

صمت... أشعر أنني بالغت في كوني أعزبا حقا، فلم الإنشغال بنظافة بيتهم!.

شعرت بالارهاق، وبكيت فجأة، لا لشيء، ولكن كانت رغبة داخلية بأن أخرج صوتا من أوتاري الصوتية.

كنت شخصا صامتا طوال الوقت، الطريقة الوحيدة لدي لأشعر أنني لست أبكما، أن أبكي.

أشعر أحيانا أن المجتمع ظالم للذكر بمقدار ظلمه للأنثى.

يريدون منا أن نقف دوما ولا نهتز

أن نكون قاسين لا دافئين

أن نكون السهام وليس الجدار(الخاص بالأسهم).

يريدون منا أن نبتسم للألم، لا أن نبكي.

حسنًا، أنا كذبت، لم أبكي لأنني صامت طوال الوقت، كنت أريد البكاء لأنني تحت الألم ولن أخجل.

ابتل فراشي مني،ومن ثقلي وحملي.

شعرت حينها أن الخراب بالبيت، لا في قلبي، وتجاهلتُ نفسي، وقمت لأُنظف المكان على الرغم من أنه لا يشكو من شيء، وحاله أحسن من حالي.

فكرت فيها كنوع من تغيير الروتين، أن أوجه سريري في اتجاها معاكس للأصل وباشرت في حمله ولكن توقفت!

أدركت حبنها إذا قمتُ بتغيير موقع السرير، لن أستطيع بعد الآن سماع جاري مازن وأنينه ليلًا.

مازن، آه، كان رجلا في أبهى حال،ما الذي اسقطك في الهاوية بلا رحمة ؟

كنت مثل الجبال،لا تهزك عاصفة،بابتسامتك جعلتَ للحي روح.

أسمر البشرة، طويل القامة، عريض الأكتاف، مثل اولئك الذين نشاهدهم على التلفاز !

كنتُ أنظر اليك وأفكر في عدد النساء اللاتي وقعن في حبك،كنت عكسي تماما، شخصيتك المرحة وحديثك الموزون،أين أنت عن نفسك القديمة ؟ لم أفلتتها ؟

ما الذي قادك لتبكي في كل زاوية، حتى مشيتك في الشارع شعرتُ ببكائها، كنتَ تبكي بكل حواسّك، حتى ضربات قدميك على الأرض كانت عتابا.

قيل في الحيّ أكثر من مرّة أنك أسرفت نفسك في المخدرات والشرب وما شابه،وخسرت مكانك المهني و مالك، ولكن لا أظن ذلك.

لم يسبق ورأيتك تمشي مهتزّا بالشارع، لم ألمحك فاقدا للوعي مثلا، كل علامات الثبات كانت تسود وجهك،غير ذلك كنت معلم، قدوة.

لا أظنك بذاك الشخص عديم الضمير لتفعل ذلك ولم تكن يائسا حتى.

وجماعة أخرى من الحي سمعتهم يقولون عنك منفصم الشخصية،ومريض نفسي.

مازن، بصراحة لا ألومهم على كل تفسيراتهم، فعندما لا يفسر المرء سبب انقلابه وفقدانه لنفسه، ستهيج العقول والانسانية أجمع لأنها خسرت روح، لم كل هذا الغموض ؟ ما الذي وراءك ؟

نظرتُ للمرآة وهذه المرّة لم ألتفت لبدانتي،وقبح وجهي، ولم أعطِ أي اهتمام لشعري الذي بدا عليه علامات الصلع، بل نظرت مباشرة لعيناي لأول مرة أدرك لونهم، بنيّات، عاديات جدا...

لمدة حوالي خمسة عشر ثانية ظللت على حالي، أنظر في داخلي،أحاول أن أرى ميّزة في داخلي، كوني لم أجد في خارجي،ما يميّزني،لعلّي أرى بالداخل،فكما يقال، ''الأعظم للأعماق''.

سمعت مرة في برنامج يخص التنمية البشرية، '' إذا لم تجد شيئا جميلا فيك فاختلقه ''.

إذا وددت أن أختلق شيئا جميل في نفسي، فسأختلق السعادة..

ولكن كيف ؟ بصراحة لم أؤمن يوما في تلك التنمية البشرية، ولم أجد أغبى من أصحابها.

باعتقاداتي الخاصّة، السّعيد خُلق سعيد واليائس مثلي، خُلق يائس.

قاطع صنبور المياه أفكاري، كل يوم اثنين ليلا كالمعتاد، يجيء يوم تعبئة المياه.

يدور في بالي سؤال غبي بصراحة، مادامه يدعى يوم تعبئة المياه، لم أرى المياه بحرا على الأرض في حيّنا ؟

بصراحة، المياه عندي أغلب الأسابيع تنفد في اليوم الرابع من الاسبوع وبقية الأيام ألهثُ لأُوصل أوعية المياه من بيت جاري،لبيتي.

يقول لي جاري أعلاي ويصرّ عليّ لأتزوج، فيقول مازحا " النساء إداريات جيدات فإذا تزوجت لن تنفد المياه بسهولة " على الرغم من أنه يعي كل الوعي،أن الخزان الخاص بي معطل وفيه خرمٌ يسيل منه، لكنه يقول ذلك ليكسر الجموح والحاجز بيننا، أنا أتفهمه، لا يقصد جرحا.

هززتُ رأسي (فهذه الحركة أشبه أن تنبّه عقلك ليعود للواقع)، وأكملت توجهي نحو الحمام.

أشعلت الأضواء وتحديدا الضوء الذي يقطن أعلى مرآة الحمام،أحب أن أرى وجهي صباحا حينما أستيقظ، عكس الكثيرين.

أحب أن أرى تفاصيل وجهي قبل الخوض في معركة مع الحياة،كيف يبدو البؤبؤ مستقرا كما لو أنه لم يهتز من قبل.

وكيف تبدو الشرايين ناعمة،مستقرة في مكانها دون انتفاخ أو احمرار.وكيف يبدو جلد وجهي منبسط انبساط الأرض،لا تجاعيد ولا ارتخاء في بشرتي، أشعر وكأني طفل خرج من رحم أمه للتوّ.

بصراحة،أتعجب من نفسي صباحا وأنا في الحمام،أبدو شخصا مختلفا عن ماهيّتي تماما.

بامكاني الاعتراف، أنني أمتلك جانب ليس سيئًا في شخصيتي، ومفعم بالأمل والحياة، يظهر لمدة دقائق داخل الحمام وبمجرد أن أخرج من الحمام يتلاشى ذاك الشخص.

عدتُ لطبيعتي المعتادة بأسرع وقت.

اعترافٍ آخر، أخجل من نفسي إذا أطلت الوقت داخل الحمام، أخاف أيضا أن أبالغ في الإحساس بالأمل، فتقل قدرتي في العودة إلى حياتي الطبيعية بسرعة.

...آه، ألو أحمد.

أحمد: وينك يا زلمة ؟

... بالبيت، رح أفطر وأطلع، خير في شي ؟

أحمد: لا، سلام.

أحمد، رئيسي في العمل، يتصل بي دوما قبل حين موعد عملي بساعة، للتأكّد من أنني على قيد الحياة، فإذا لم أكن كذلك، سيقوم بتوظيف عامل آخر، حتى لا تتعطل مسيرة العمل بسبب وفاتي مثلا، لا سمح الله.

كنتُ بالبداية أتحسس من موقفه تجاهي، حتى بدا لي أنها طبيعته هذه مع الجميع وليست فقط معي.

فارتاح بالي قليلا تجاهه.

ماذا عساي أختار، سميّة ساعديني، أيّهم سيليق بي ؟ سميّة اسمعيني... بصراحة، سمعتُ الحديث متقصّدا للتنصّت عليهم، لم أكن شخصا يتدخل في شؤون الغير، لكنني وغدت تاجرا فاضطررت أن اكون متطفلا بعض الاحيان،حتى أبيع البضاعة وخصوصا القديم منها، التي اذا اعدناها للمخزن فحتما ستتعفن أو ستغدو بعد سنة أو سنتين ليست دارجة عند مجتمع الموضة.

رأيت صديقتها لا تهتم لها أصلا، فكانت عيناها على الفستان الأحمر

الذي يبلغ ثمنه ٢٠٠$، أستطعت أن اقرأ نظراتها، وكأنها تتحسر لانها لن تستطيع شرائه، (بصراحة حتى أنا لن أستطيع شراؤه براتبي الشهري)، فقلت برأسي تلك هي فرصتي، استغللت الموقف وذهبت اليها وقلت لها " نعم، يناسبك تماما اللون الأزرق لأنك حنطية البشرة "، بصراحة غازلتها قليلا، بكلام وايماءات لن يفهمها أحد سواها، واصطنعتُ بريق عيناي، لأظهر لها مدى اعجابي، ولكن كل شيء كان يستدرجه الغموض.

وبتلك الطريقة، التي هي بالأصل فخًّا، استطعت التخلص من آخر قطعة من تلك البضاعة وبثمن باهظ.

أتمنى أن آخذ مكافأة قيّمة على ذلك.

حصل كل هذا، وسمية ما زالت تنظر بشغف للفستان الاحمر، أشعر بلؤمها أنانيتها وأنا لا أعرفها حتى.

على أيّة حال، بعد أن تعدى عمري الثلاثين، لم أعد أشعر فصرت اصطنع كل المشاعر، مشاعر الحب، اللهفة، الصدق، المعاناة..

وأحيانا اصدقني انا بحد ذاتي،كم مؤلم ومضحك أن تكذب كذبة وتصدقها..

ولكن لو تعمقت بحالي، لن تجد أنها كذبة على الاطلاق، ولكنها طريقتي في العيش فحسب..

فأنا خسرت مشاعري، لا أريد أن أخسر مظهري أيضا، فالتجرّد يُلغي منظر الشيء.

بعدما نجحت في اقناعها لشراء الفستان الأزرق، عند الحساب، قاطعت صديقتها "سمية" الأحداث وقالت (استني، ترا عبادة ما بحب اللون الأزرق،رح يزعل صدقيني، الاحسن الك ترجعيه)...

اذا سمية أنتِ لستِ صديقتها، بدا لي أنها أخت خطيبها من سياق الكلام.

استنفرت في داخلي وتلاشى الامل، أضاعت فرصتي في بيع آخر قطعة، كم أنتِ لئيمة يا سميّة ويالسطحيّة عُبادة.

كيف يمكن للمرء أن يضع حدودا لشريكه في تنسيق ملابسه،

اليوم عبادة سيرفض اللون الأزرق، غدا سيرفضها كلّها.

سارعت في ضبّ الاغراض التي لا تعجب السيد عبادة،وأعدتها الى ركنها..

نظرت للفستان الأزرق وشعرت بأنها قطعة منحوسة فعلا، أخذتها لأنزل بها مع البضاعة في المخزن.

نزلت للطابق الأرضي "المخزن"، أحب فكرة أن المكان لا يصل اليه ضوء، وغير مؤهل كهربائيا، فالأضواء فيه دوما ما تكون معطلة.

وهذا الجزء الأمثل، انه مكان استراحتي، لأنفرد فيه مع بضاعة تشابهني، كلانا لا يرغب بنا المجتمع، وكلانا رفضنا موطننا، فأحس بالأمان قليلا..

أنهيتُ ساعات عملي المحددة، وبدأت أنهي اجراءاتي، لأخرج وأعود

للمنزل، لاأخفي عليكم، أن أحلام اليقظة لها أثر كبير عليّ في تلك اللحظات،أحلم أنني متزوج وزوجتي في هذا الوقت تتجهز لتقوم بالطهي لي، لتطهو لي مثلا أكلتي المفضلة (شوربة الخضار مع الأرز الابيض بقطعة لحمٍ)، أطفالي يتقاتلون لفتح الباب لي، لأردت في تلك اللحظات أن تفوز ابنتي في فتح هذا الباب لي..

آه.. البنات.

قاطع أحلام يقظتي (فارس) صديقي منذ الطفولة، ... هلا فارس.

فارس : كيفك ؟ كيفك عنجد ؟

فارس هههههههه، انها طريقته الخاصة ليشعرني أنه مهتم حقا لكيف حالي، يكرر كيفك مرّتين مع كلمة ''عنجد''.

أحبه، وأحب طريقته هذه..

... الحمدلله، عايش .

اجابة صادقة دوما، ''عايش''، ولكننا لا نملك رفاهية العيش.

فارس: لازم أشوفك، عشان أفهم كيف عايش بالزبط.

... تمام مكاننا المعتاد ؟

فارس: مكاننا المعتاد.

أما فارس لا أكتفي له بقول ''عايش''، نستطيع أن نقول أنه يفهم الشخصيات

المتكتمة أمثالي، ويصرّ على اجابات واضحة دوما وواقعيّة أكثر..

مكاننا المعتاد هي قهوة، لا يدخلها إلا الأثرياء المملوئين بالعقد النفسية ، نحن لسنا أثرياء ولكننا الخيار الثاني.

فارس صديقي، يقول لي دوما " أحب أن أحزن حزن الأثرياء، لا العاديين"، إنها طريقته بالحزن وأنا أحترمها.

وصلت المقهى، ظللت أنتظر لنصف ساعة كاملة، لم يكن فارس سابقا من نوعية الأشخاص الذين لا يحترمون المواعيد.

إلا بعد أن تزوّج، وأنا أعذره دوما لأنني أعرف كينونة فارس وطبيعته.

يكرر على مسامعي دوما " أِنا لست على طبيعتي أبدا"، لذا أنا أتغاظى دوما ولا أظهر له مدى إنزعاجي من تلك الشخصية، فهو منزعج أضعافي.

وصل فارس أخيرا..

يصل ليعانقني بقوة، وكأنه فارٌّ من الموت.. أشعرُ فيه.

فارس: زمان عنك.

...: اللي لقى أحبابه، نسي أصحابه.

أكرر هذه الجملة على مسامعه دوما لإثارته، حتى يُظهر ما يخفيه، إنّها طريقتي اللعوبة.

لينظر لي بعدها، تلك النظرة التي يملؤها " لا تعرف شيئا "

قائلا: يمكن ما لاقى أحبابه، يمكن لاقى الموت ألف مرة.

ليبدأ أحاديثه عن ما يخوضه، يكون هو المتحدث بالجلسة ألف مرة، وأنا مرة واحدة.

فمشاكل المتزوجين تفوق مشاكل العازبين ألف مرة.

مختصر قصة فارس، أنه يريد مولودًا ذكر، فارس والد لأربعة بنات.

أعرف فارس منذ حوالي ٣٥ سنة، ليس شخصا متخلفا أو جاهل، على العكس تماما.

موقن تماما أنه الأب الأفضل والأحن على الاطلاق..

دائما يقول لي " لا تحكم عليّ ". ولكنني أحب الأطفال الذكور.

كان يقولها بصوت شخص يائس وخائف، وكأنّ حب الذكور جريمة..

الحياة قائمة كلها على التفضيلات.

هذا أجمل وأوسم من ذاك

هذا يملك شخصية كارزماتية أكثر من ذاك

هذا يملك بدن قوي أكثر من ذاك

هذا عقله فطين أكثر من ذاك.

منذ الولادة، نحن ضحايا التفضيلات تلك، تُولد أنت بوزن أقل من وزن ابن خالتك مثلا، فتقع ضحية لمقاراناتهم..

ولكن حين يقول فارس "أنا أحب الذكور أكثر من الاناث " تصبح جريمة، ماذا عن الجرائم أعلاه ؟

أتعاطف مع صديقي فارس دوما ولكنني

لا أتفق مع طريقته في لوم زوجته، ولا أتفق معه في تفضيل الذكور على الإناث..

ولكن المفاضلات وباء منذ الأزل في هذا الكون.

كيف يمكنني أن أتقبّل مرض ذاك، وأرفض إصابة الآخر بذلك المرض.

فلا أتعاطف معه لسبب أنه صديقي، بل لأنه مريض وأنا مريض وكلنا مرضى.

أمّا فارس صديقي ليس فقط لأنه يفضّل المولود الذكر، بل لديه أسبابه الخاصة الأخرى،لتجعله يضجر من حالته..

فارس صديقي مذ كنّا في الابتدائية، لا أذكر تفاصيل كيف أصبحنا رفيقين ولكن لنقول إنّها الايّام والوقت، هما من جعلانا نصل إلى حدّ هذا العمق من الصداقة.

كنّا مجرد شريكين في نفس المقعد الدراسي، و مع مرور الأحداث، انفتحت ارواحنا إلى بعضها حتّى تجانست.

فأعرفه جيّدًا وأحيانا أكثر من نفسه، ليس بالشخص السطحي في رغباته.

فارس الذكر الوحيد على ثلاثة إخوة إناث، أذكر أيّام صداقتنا الأولى، كثيرا ما كان يكرر على مسامعي، ويقول «ياريت عندي أخ مثلك بالمدرسة»، حينها لم أدرك رغبته الملحّة بأن يكون لديه أخ ذكر، حتى تعمّقت علاقتنا أكثر، وأصبحتُ قادرًا على الشعور بأحاسيسه.

صديقي فارس لم يكن وحيدًا في المدرسة فحسب، بل كان وحيدا في البيت أكثر، خصيصا في الليالي، عند النوم.

فلا تظهر وحشيّة الوحدة إلا حينما يحلّ موعد النوم، أمّا في الصباح، تكون الوحدة مطليّة بمظهر مثاليّ.

لم يذكر لي تفاصيل يومه قط، ولكن في العلاقات العميقة، جسدك يصبح بروحين وليس بروح واحدة.

فتشعر بكل مشاعر الطرف الآخر، وتشعر بكل ظروفه، وكأنك هو،وليس أنت.

فعلى الرّغم من أنني لم أعاني من الوحدة الجسديّة قط في المنزل، ففي الغرفة الواحدة كنت أمكث مع اثنين من اخوتي الشباب، إلّا أنني كنت أتفهّم معاناته،ولم أُشعره يومًا أنّ حالة الازدحام التي كنتُ أعيشها في غرفتي مع أخوتي، أكثر بغضًا من الفراغ الذي يعيشه هو.

منذ الطفولة للآن، يشعر صديقي فارس بالوحدة، يريد ذكرا من دمه في هذه

الحياة، لم أستطع أن أستوعب رغبته الملحّة هذه يومًا، ولكن ولأننا أصدقاء، فأنا أتعاطف معه، وأصدق معاناته.

فأعظم ما يمكن أن تقدّمه لصديقك، أن تصدّق وتؤمن باحساسه، ورغباته حتّى وإن كان منطقك الشخصيّ يرفضها.

عدت المنزل بعد قضاء تلك الليلة.

يجتاحني الفراغ دوما، لا ألوم الوقت، ولكنني منذ صغري، لا أقدر على ملء وقتي، أو الاستمتاع به، أو عيشه حتى..

أظل أهرب من الوقت، وأهرب من الامتلاء، وحينما أفرغ تماما، أشكو من اللاوجود..

أفكر في علاقاتي العاطفية ، كل مرة تنتهي فيها علاقة، أشعر أن همًّا وانزاح عن صدري.

حسنا، أنا من الشباب اللعوبة مع الفتيات، أعبث بمشاعرهن أحيانا، من غير قصد.

أبدو لهنّ في البدايات شخصا غامضا، مع مظهر قبيح قليلا، مصدر جذب عالٍ لهنّ خصيصا أولئك الفتيات اللواتي لهنّ تجارب فاشلة سابقا أو تلك التي وقعت ضحية لقصص خيالية على التلفاز، تحب البطلة فيها ذاك الشخص الغامض، ذو المظهر اللانمطي المصاب بجرح لم يُشفى..

شخصيتي مع الجنس الآخر غريبة إلى حدٍّ ما..

في كل علاقة لا أكون أنا أنا، أكون دوما الشخص المناسب لهنّ. لا أعلم السبب وراء ذلك، مع انني لستُ بالشخصية المتملّقة، لكن بإمكاني القول أنني أعرف أن أجاري النساء إلى حد ما.. أعرف طريقة تفكير كل واحدة منهن، وكيف يعمل عقلهن..

لكن هل أستمر معهن ؟ بالطبع لا.

مثلاً، في آخر علاقة خضتها، كانت فريسة سهلة الاصطياد.

أستطيع تمييز هذه النوعية جيدا، وكأن لدي حاسة شم خاصة بأولئك الفتيات سهلات المنال..

ولكن بنظرةٍ عامة عنهنّ، المصابات بجرحٍ مفتوح، هنّ الأسهل.

على أيّة حال، لن أفشي كامل الأسرار، لكن قرأت مرة مقال وإلى حدّ ما أتفق معه، مختصره: " أن الانسان يستطيع معرفة حقيقته من نوعية علاقاته " بدا لي هذا الكلام مقنع إلى حدّ ما..

فمثلا..

كثرة علاقاتي تعبّر عن حقيقة احتياجي دوما، وفشلها تعبّر عن حقيقة رفضي ليد العون، أما بالنسبة لهروبي في نهاية المطاف فيعبر عن قلقي وترددي الذي يكمن في طبيعتي.

خضتُ في علاقاتي السابقة، علاقة استمرت خمسة أشهر، إنّه الحدّ الأعلى للمدة التي خضتها في كل علاقاتي، فعادةً المدة تكون أقل بكثير.

أذكرُ أنها كانت من الفتيات اللاتي يعشقن الاستعراض، المليئات بالندوب النفسيّة.

خمسة شهور شعرتُ فيها أنني طبيعي إلى حدّ ما، كانت كل الاحاديث التي بيننا تدور حولها، عن نفسها، حياتها، الاحداث التي تجري.

كانت دومًا هي بطلة الاحداث في حياتها، كنت أمقتها أحيانا في داخلي ولكن جانب مني كان مُعجب بطاقتها النشطة.

ولكن دومًا ما كانت المشاعر السلبية تطغى عليّ، المقت تجاهها تضاعف، فغلبني.

إنّها وعلى الرغم من أنها العلاقة الأطول ولكنّها كانت تفتقد للنّبل.

في إحدى علاقاتي الأكثر نُبلًا، والأكثر اتّزانًا إلى حدٍّ ما، كانت مع امرأة، كنّا بنفس العمر تقريبًا.

ولكن وعلى الرغم من تقارب اعمارنا، كانت بروحٍ نقيّة أكثر، كانت متّزنة، و الأهمّ أنها لم تكن تجعل يومًا من نفسها المحور لكل الاحداث.

كانت عقلانية وعاطفيّة ذات اللحظة،في علاقتي معها تغيّرت موازين شخصيّتي كثيرا، دومًا ما كنتُ ضحية للاستماع لاحاديث الناس، أمّا معها كنتُ

أتحدّث أكثر، متحررًا عن طبيعتي السابقة.

كانت من أكثر الشخصيات التي تملك طاقة نظيفة إلى حدٍّ ما، تُحسن التصرّف دوما.

بعيدة كل البُعد عن حالة التعلّق التي تعيشها الفتاة مع شريكها في العلاقة، كانت تُشعرني بالحريّة.

اكتسبتُ خبرة في العلاقات الناجحة معها، وأدركتُ أنّ سرّ العلاقات الناجحة هو الاتّزان، لا المثالية.

ولا يتحقّق الاتّزان إلا بالتّباين، طرف ينقصُه، الطرف الآخر يُمليه.

فعلى سبيل المثال، أنا آحبّذ في طبق شوربة الخضار أن آكل قطع البطاطا وهي تحبّذ الجزر.

فالنتيجة ستكون، أن الطبق سينفد، و إنّنا لم نضطر لإهدار الطعام ورميه هباءً.

ومثال واقعيّ أكثر، لا يستطيع شخصان أن يقضيان وقتا طويلا على طاولة واحدة، إذا كانا لديهم نفس قوّة الرغبة الداخلية للتحدّث.

فإذا وجدت اثنين يطيلان الحديث، فاعلم أن واحدًا منهم لديه رغبة حقيقية داخليه ليستمع والآخر لديه الرغبة ليتحدّث.

أمّا في علاقتي معها، كان المانع الوحيد لأن نتزوج، هو أنا.

انا بشخصيتي هذه لم أكن متّزنًا على الرغم من انه وبالعمر الذي أبلغه، وَجب عليّ أن اتزن.

ردود أفعالي لم تكن متوقّعة يوما، حتى أنا لا أتوقّعها،

أيامٌ تمر أملك قوة هائلة بداخلي لأتحدث وأفعل الكثير

أيام أخرى لا أقدر على التلفظ بحرفٍ واحد ، وكأنني أحب البطاطا اليوم، واليوم التالي لا أطيق رؤيتها..

ففي الأيام التاليه أغدو أنا وهي صامتين أكثر، و الطبق مملوء، وسنهدره هباءً في سلة النفايات.

كنتُ بهذا التعقيد..

أمّا في علاقاتي، العلاقة الأكثر غرابة من بينهم، علاقه استمرت أسبوعين بالتمام.

كانت فتاة تبدو طبيعية من السطح ولكن كل ما اقتربت، اتضحت غرابتها، وبؤسها أكثر.

كانت مهووسة في علم الأبراج وحركة الكواكب، ولا أعلم ما هو الرّابط بين حركة الكواكب وحظوظنا.

هكذا كانت تقول لي، أنّ هناك علاقة بين الكوكب و احداث اليوم.

في أول محادثه بيننا، أوّل سؤال سألتني إيّاه « شو برجك ؟»، و لأنني في البدايات أُحاول أن أُظهر للطرف الآخر كم أننا لدينا اهتمامات متشابهة، فسارعتُ للبحث عن برجي..

أذكُر أنه كان برج العذراء..

لحظات صمت جرت بيننا بعد أن أخبرتها ببرجي، إتّضح أنه برج سيء وأصحابه لا يُطاقون -على حسب ما قالت لي-.

اتّضح بعدها أنّ برجها القوس، وعلى حسب ما ذكرت لي حينها

أنّ التوافق بين برجي العذراء والقوس سيء جدًّا.

حاولت أنْ أخفّف أزمة الموقف، فقلت لها، دعينا من الأبراج، أريد التعرُّف عليكِ أنتِ، لا برجك..

لم أجدها استجابت بشكل جيّد ولكن أخذت زمام الموقف، وبدأتُ أُبدي اهتمامي بها أكثر، فبدأت تنفكّ عقدها..

حتى مرّت الأيام، لم يمرّ يومًا من دون أن تُرسل لي صباحًا مقالة تحمل حظها اليومي.. و تلك المواقع الخاصة بالابراج لم تكتفي بذكر حظ صاحب البرج وإنّما بنفسيته ومزاجه اليوميّ.

والمشكلة الأكبر، أنها كانت تأخذ كل كلامهم بتفاصيله على محمل الجدّ.

يومٌ يمر و حظها يكون جيد ومزاجها مستقر

يومٌ آخر العكس تمامًا، حظها عاثر و مزاجها سيء وكلّ هذه التفاصيل تحدث، فقط لأنها تصدّقها من مواقع الأبراج تلك.

أنا لا أؤمن بعلم الأبراج ، أؤمن أكثر في التلاعب بالعقول.

لذا لم نلبث سويًّا، تركتني هي قائلة أنني لستُ الشخص المناسب لها والتوافق بيننا لن يطول كثيرًا، وأنّ حظها العاطفي في هذا الشهر ليس جيد، ستتعرّض لخذلان ولن نستمر سويًّا، لذا انفصلت عنّي.

صحيح أنّنا لن نستمر سويًّا، ولكن لا لشيء سوى لشخصيتك غريبة الأطوار تلك، لا علاقة لحظك العاطفي في هذا الشهر كما ذُكر في برجك.

لم أفهمها يومًا، هل هي شخصية مضطربة، أم مجرد فتاة تبحث عن الأمل ؟

للآن لم أجد إجابة، ولكن يمكنني القول أنها على الأغلب كانت تخاف من المجهول.

مرّت فترات في حياتي، فضّلت فيها الوحدة على محاولات بناء علاقات، وجدتُ راحة هائلة في وحدتي.

ولكن اذا طالت الفترة، يضطر الانسان أن يجالس نفسه، وينفتح اليها أكثر،

هنا كانت المشكلة، أنّ معاشرة النفس أكثر صعوبة وتعقيدًا من الانفتاح على الآخرين.

ولكن لا صعوبة تفوق معاشرة العائلة، إنها العلاقة الأكثر تعقيدا وغرابة، غرابتها تفوق غرابة تلك الفتاة المهووسة بالأبراج.

هكذا كنت أشعر مع عائلتي، كان وجودي معهم ضروري لعمر معيّن، حتى أصبح فجأة غيابي واجب و حتميّ.

إنّ مسألة البقاء معهم كانت تزداد تعقيدًا مع مرور الأيّام، لذا كان عليّ أن أُغادرهم في يومٍ ما.

فالعائلات البشرية تملك ذات طبيعة العائلات من الفصائل الأخرى.

فمثلًا، عند القطط تلدُ الأم أطفالها، يظلوا معها عدّة أسابيع، فيغادروها.

في هذه المدّة، يتعلّم القطط الصغار مهارات التي تلزمهم ليعيشوا، فيصبحوا قادرين على العيش في الحياة لوحدهم .

أمّا أنا فاستغرقت ثلاثين سنة لأتعلّم كيف أعيش لوحدي.

منطقيًّا، يتّضح أنّ فصيلة القطط أكثر قدرة على التّعايش والتّكيف من الانسان.

المسألة كانت، أنّ حياة الانسان وواقعه أكثر عُقدًا من حياة الفصائل الثانيّة، لذا بدا أنّ التكيف أصعب بكثير.

الذي ميّزنا عن الفصائل الثانية هو سبب عُقدنا، وإلا لولاه كنّا سنعيش ببساطة أكثر.

هو العقل، الدماغ الذي يعمل منذ ولادتنا، فيفرز هرموني الاوكسيتوسين و الدوبامين (المسؤولين عن السعادة)، عند الاتصال العاطفيّ مع أمّنا. مع الوقت يزيد تعلّقنا فيزيد اكثر مستوى هذين الهرمونين.فتظل هذه الرغبة بالتعلق تزيد لا شعوريًّا إنّ الأمر أشبه بالإدمان. الإدمان على الشعور بالسعادة.

وما يزيد تعلّقنا أكثر، هي الذكريات..

فلا ينكفّ الدماغ على تخزين الذكريات أبـدًا، حتى وان كانت ذكريات تعيسة، منطقيًّا، كلّما زادت ذكرياتك في مكان ما، الفراق عنه سيكون أصعب.

لذا كان خيار الانفكاك عن عائلتي، الخيار الأصعب ولكنّه كان حتميّ كما ذكرت.

فانفصالي عن عائلتي لم يكن بسبب أنني كنت أعاني منهم، على الرغم من أنني عانيت، ولكن المعاناة لم تشكّل لي أي مشكلة يومًا.

في كل مكان، حتى في جزر القمر، سيعاني الانسان ما زال حيّ.

بعد أن بدت عليّ علامات الوحدة، اقترح عليّ صديقي فارس أن أُحضر حيوان أليف، أو شتلة نبات لأزرعها.

صديقي فارس هو الوحيد الذي اقترح عليّ هذا الاقتراح أما الباقين كانت اقتراحاتهم نمطيّة نوعا ما، اقترحوا عليّ أن أتزوّج...

أما فارس، هو الوحيد الذي يعرفني جيدا... يعرف طبيعتي، يعرف كل رغباتي الداخلية من دون أن أتلفّظ بها حتّى.

لم يحارب طبيعتي يوما ولم يقاومها، دوماً ما احتواني، واحتوى حقيقتي، برأيي تلك هي الصداقة.

لم نُخلق كلّنا لنتزوّج، لم نُخلق كلنا وهو مسجل في تاريخنا الحياتي أن نتزوّج ونحظى بأطفال، منّا من خُلق ليستمتع برحلة حياته وهو وحيد، أو حتى مع حيوان أليف (برأي صديقي فارس)، لا داعي أن نقاوم قدرنا، أو نحاول تغييره.

على أيّة حال، في فترة من فترات حياتي بدأت أنضم لجلسات جماعية اجتماعية، كانت تقيمها مراكز في البلاد، يجتمع فيها أناس من جميع أشكال المجتمع، يشاركون فيه أفكارهم بتطوير العقل والشخصية، وجدته مملاً ولكن لأجل خاطر صديقي فارس قررت أن أستمر معهم مدة شهرين، الاجتماع كان مرتين بالشهر.

لم أكن على دراية من قبل هذه الجلسات، بوجود أناس في قمة المثالية لهذه الدرجة، يُحسنون التصرف، كم هم رائعين.

ولكن كانوا متشابهين، يشتركون بالأفكار والتعاملات، حتى سياق الكلام يتشابهون فيه.

كانوا لطيفين، لكن مملين.

سرعان ما مللت منهم، ولكن على الأقل حاولت الانخراط من أجل صديقي فارس الذي يصر علي أن أملء برنامجي اليومي بعد العمل.

في كل محاولاتي لملء وقتي، وأخيرا، ذات يوم، قررتُ أن آتي بحيوان أليف للمنزل، ليخفّف عليّ وحدتي خصيصا في اللّيل.

فبعد أن ظهرت عليّ أعراض الوحدة كما ذكرت، ضجر مني الكثيرين وأوّلهم صديقي فارس.

أصبحتُ شخصية لا تُطاق، أراقب الجميع، وأحكم عليهم، وأصبحتُ كما يُقال «زنّان» أكثر، عدا عن أنني أصبحت من المهووسين بالنظام والانارة الخافتة، و أكثر عرَض كان واضح عليّ هو كرهي الشديد حد الهلع للأصوات، العالي منها والمنخفض أيضًا مثل كبار السنّ تمامًا.

جئت بحيوان أليف في تلك الليلة (التي لن أنسى تفاصيلها يومًا) كان قطّ، أحضرته ذكرًا، على الرغم من أنني ميّال للإناث ولكن في فصيلة الحيوانات، أنا أحبّذ الذكور.

دخلت شقّتي وبيدي فردًا جديد سيمكث معي لمدة مؤقتة.

أدركت حينها جمال أن تأتي بحيوان لمنزلك، لن تطول المدّة كثيرا وسيغادر للجنّة، خصوصا القط الذي أحضرته، كان بسعر ليس بالباهظ ولا يملك بدن قوي، بدت عليه علامات الكسل أيضا،فخمّنت مدة حياته، قد تكون ثمانية أشهر على أبعد مدى وسيصبح هيكلًا.

لا أخفي عليكم، ولكنني لا أطيق الضيوف (أكيد عدا صديقي فارس).

ولكن هذه المرّة، ضيفي قطّ.

ركنته جانبا بالقفص، وعدت لأمارس ليلتي كالمعتاد، حضّرت لنفسي الطعام.

شرائح لحم مع البصل، هو الخيار الأمثل لوحيد مثلي.

وأنا آكل، أدركت أنني لم أعد وحيد بعد أن جئت ب (نعسان) معي للمنزل.

أسميته (نعسان)، والسبب واضح جدًّا.

آكل لحمي وهرمونات السعادة عندي وصلت ذروتها، حتى قام (نعسان) بإصدار صوت موائه.

صوته كان خافت جدًّا،بالكاد استطعت سماعه.

اتّضح لي أن (نعسان) يمرّ بوعكة صحيّة،

إنه يومه الأوّل في بيته الجديد أظنها علامات تكيّف لا أكثر، لذا تجاهلته وعدت لأكمل وجبتي.

أنهيت طعامي و لم يصدف يومًا أن نسيت أن أنظف المطبخ قبل النوم، لذا قمت بتنظيف المطبخ.

أخيرًا توقف (نعسان) عن المواء، لا أفهم لغة القطط ولكنني خمنت حينها أن لديه رغبة التمرد بليلته الأولى،ولكن لن أتساهل معه أبدًا.

فاذا استجبت له وتـوددت اليه وكنت جيدا من اليوم الأول،سيفرض غدا شخصيته وسيعكر صفو بالي.

لذا تركته محبوس في قفصه.

فكنت حينها أظنّه الأسلوب الأمثل بالتعامل.

لم أتعمّد أن أكون قاسٍ في الليلة الأولى،ولكنني تصرفت على طبيعتي، إنها طبيعتي الملوّثة، لا أملك السيطرة عليها ولم أحاول ردعها يومًا.

مرّت الليلة الأولى مثل أي ليلة روتينية في حياتي،لم يشكّل (نعسان) أي فارق في الليلة الأولى، حتى أنني نسيته.

أظنّ أنني انا و (نعسان) لم نتفق في الليلة الأولى، الى حد ما،شعرت أننا متشابهين،نملك ذات الروح.

حلّ الصباح مجددًا، إنها أكثر ليلة حظيتُ فيها بالرّاحة والهدوء، شعرتُ بالغرابة قليلاً، عادةً الحشرات تعكّر صفو بالي فأصحو في الليلة الواحدة حوالي عشر مرّات، لأول مرة أشعر بالنعيم في البلدة التي أقيم فيها، يبدو أنهم أوصوا برش البلدة بمبيدات للحشرات.

فكرت للحظات.. وتذكّرت (نعسان) نسيتُ أنّ للقطط قدرة على التقاط الحشرات.. إنها ليست المبيدات، إنه (نعسان).

مررتُ بلحظات شاعرية، لأول مرّة أشعر بالوَنس.

اعترتني لحظة أودُّ فيها أن أغمُر نعسان في حضني، فذهبت اليه مسرعًا، رأيته يبدو عليه الخمول، هلعتُ في تلك اللحظة لذا سارعت في أخذه للمستشفى.

لأول مرّة في حياتي شعرتُ فيها أنني لدي رغبة لأحمي أحدهم، لأول مرة أشعر بمسؤولية شخص غير نفسي.

لأول مرة أشعر أنني حيّ.

إنّه اليوم الأول الذي اضطررتُ فيه أن آخذ إجازة لظرف عائليّ، (نعسان) أصبح عائلتي.

في ذلك اليوم أخذ نعسان جرعتين من الدواء، وأوصاني الطبيب أن أحضر له طعام خاص للقطط، وأعطاني بعض النصائح لأرفّه عن نفسيّة نعسان.

فعلاً، ذهبتُ وتسوّقت لنعسان وأحضرتُ له كل ما يحتاج إليه، حتى أنني ذهبت لسوق خاص للالبسة للحيوانات، وأحضرتُ له قفص جديد غير ذلك القفص المهترئ.

وصلنا المنزل ليلاً، جهزتُ نعسان للنوم، بعد أن أطعمته و ألبسته حتى يشعر بالدفء، ووضعته في قفصه الجديد.

لكنه أبى أن ينام فيه في تلك الليلة في قفصه، أصرّ أن ينام على كفّي.

مرّت ساعات طوال وأنا أطيل النظر في نعسان أثناء نومه، في حينها تمنيتُ أن يكون (نعسان) خالد للأبد، أو على الأقل أن يحظى بسنوات أكثر ليعيش فيها.

دعوتُ في تلك الليلة أن يعيش نعسان أكثر.

اطمئننت أن نعسان وصل حدّ العمق في النوم، وأفلتته في قفصه.

قضيتُ الليلة بأكملها وأنا أبحث في مواقع الانترنت على حيوات القطط، كيف يعيشون، كيف يعبرون عن مشاعرهم، أنواع صوت المواء وماذا يعني كل صوت، ماذا تعني كل إماءة، والحد الأقصى لمدة حياتهم.

أظن أننا أنا ونعسان، قد نصبح مقربين جدًّا مع مرور الأيّام، لكن دوما ما يحدث سوء فهم في بداية العلاقات، خاصةً أولئك الذين يخوضون علاقات عميقة،بالغالب، لم يَحظَوا ببدايات جيدة، مثلي تماما انا ونعسان.

في اللّيلة الثانية، شعرتُ باحساس مختلف تماما، اعتدتُ أن تمرّ الليالي إما بانشغالي باعداد الطعام لنفسي، أو انشغالي في حياة من حولي، في تلك الليلة تناولت بقيّة طعام البارحة، و أذني لم تستجب للأصوات خارج حدود شقّتي وكأنه أصابني قصورٌ في السّمع.

فاتّضح لي أن السمع قرار، اذا اردنا السمع نستقبل اهتزازات صوت من حولنا، وان لم نرد نمنع هذه الاهتزازات للوصول،بكل بساطة.

في الصباح، أيقظني المنبّه، لأول مرة في حياتي أصحو مع رنة المنبه،عادةً أستيقظ قبل حين الموعد.

دخلت الحمام وهذه المرة ارتديت بقدمي، لم أكن متيقنًا أن الحمام نظيف،ليلة أمس كسرت قواعدي في تنظيف الحمام.

رنّ علي مسؤولي في الدوام خمس مرات، ولم أبالي، او لأكون دقيقا وقتي ليس لي قبل حلول موعد الدوام.

حين يحين موعد دوامي،سأكون موجود. وان لم أكن، فأنا برجل لديه مسؤوليات.

أطعمتُ نعسان، وتركته حرًّا في المنزل،وخرجت.

لم أكن على دراية الى هذه اللّحظة عواقب منح الحرية في المكان الخطأ.

أكملتُ دوامي ولم أعطي أي اهتمام لأي قطع لَم تُباع، لم أُغازل النساء بنظرات كما كنتُ أفعل من قبل لأتخلّص من البضاعة، ولم أحكُم على النّاس وهم يتسوّقون (على الرغم أنّ حقيقة الانسان تظهر بشكل واضح عند التسوّق).

الآن يمكنني القول أنّ نعسان طهّرني من ذنوبي، وكأنني خُلقت من جديد.

أنهيتُ ساعات الدوام، وكالعادة صديقي فارس يهاتفني حينها ليصرّ على لقائي ولكنني لأول مرّة أرفض اللقاء، دوما ما كان يفعل هو.

أتفهّم فارس كثيرا حين كان يرفض اللقاء.

سارعتُ للمنزل، وهنا كانت المُفاجأة، نعسان لم يترك أي شيء على وضعه، أثار الفوضى في كل مكان، حتى أنه وصل لأوعية المونة الخاصة بي، لم يترك مكان على حاله،ترك بصمته في كل مكان.

حينها أدركتُ أن حدود الحرية ليست بالشيء المتسلط، وأن الحريّة المطلقة لا تُضفي سوى الخراب، والتمادي.

لم أغضب يومها، أعدت نعسان لموطنه في القفص، وباشرتُ في تنظيف وتوظيب ما أثاره نعسان من فوضى.

لأنني أدركت في يومها أن الخطأ كّله عليّ.

دومًا ما كنتُ أبالغ، تمرّ أيام أشعر أنني منتشي من شدة السّعادة، وأيامٌ أخرى أجثو على ركبتي من شدة اليأس، أبالغ في حبي للأشياء وكرهي أيضًا.

أمّا نعسان، فقد حقّق توازني قليلًا، وكشف لي مناطق علّتي، وكأنه صفعني بحقيقتي، ولكنني كنتُ متقبّلًا و حرجًا أكثر من نفسي.

إنّ صفة المبالغة، إحدى ميّزات الأطفال، لأنّ كيمياء أدمغتهم في سنّ الطّفولة ليست متّزنة بعد ، لذا يتصرفون على تلك الوتيرة.

أمّا أنا رجل في التاسعة وثلاثين من عمري ، وما زلتُ أتصرّف على تلك الوتيرة أيضًا، هل روحي ما زالت صغيرة، أم كيمياء دماغي مضطرب ؟

منذ مجيء نعسان انقلبت حياتي، ولكنني أصبحتُ أكثر إتّزانًا،حتى في جلساتي مع صديقي فارس أصبحنا نتحدث بالقدر المتساوي، في الماضي كان يتحدث هو أكثر.

إنّ السرّ لا يكمن في نعسان، بل في المسؤولية.

المسؤولية تُعيد برمجة دماغك، تجعلك شخص آخر، أكثر عقلانية، وأقل تهوّرًا، وأقل تفكيرًا بأحوال الآخرين (خصيصا الجيران حولك).

لكنني لم أنجح يوما في حمل مسؤولية شخص غير نفسي، ليس لأنني شخص أنانيّ، ولكنني اعتدتُ الوِحدة.

لذا لم يمرّ شهرًا كاملًا، وفرّ نعسان ولم أجد له أثر لا في العمارة ولا حتى في البلدة.

ولكن الأجمل في هذه النهاية التي جرت بيني وبين نعسان، لم ألومه في نفسي، فلديه أسبابه الخاصّة للهروب.

ولم أحتقر القطط، ولكنني لو عاد بي الزمن لاخترته أنثى لا ذكرًا.

بعد أنْ قرّر نعسان الابتعاد عنّي، أصابتني حالة من الانطواء والانغلاق على نفسي.

إنّها الحالة التي كانت تصيبني، منذُ كنتُ طفلًا، دومًا ما كانت تلك الاحاسيس تعتريني حينما يتغيّب صديقي المفضّل في الصف، المقعد الذي بجانبي فارغ، وكل المقاعد الأخرى ممتلئة.

إنّ أحداث الطفولة تُنسى، ولكن أثرها لا يُفنى.

إنّ أكثر ما يثير فضولي في هذا السّن، ليست الحياة فالحياة واضحة تمامًا، لا حاجة لنظريّات لتفسير الحياة، ولكن ما كان يربكني هو الموت.

إحدى نظريات الموت تُدعى (تناسخ الأرواح)، تنصّ على أنّ جوهر الانسان روحه، أمّا جسده فهو مجرد جسم مادي قابل للفناء.

تنتقل الروح بعد موت الجسد إلى جسم مادي آخر، وتتكرر تلك الحالة حتى تصحح الروح أخطاء الحيوات السابقة لتبلغ الكمال (الكمال الرُّوحي).

في تلك النظرية يؤمنون أصحابها أنّك من الممكن في حياتك السابقة كنتَ حيوانًا أو حشرة أو شتلة نبات أو حتى جماد من الجمادات.

الآن فهمتُ لم بعض الناس يقومون بتصرّفات فظيعة، من الممكن أنّ في حياتهم السابقة كانوا حيوانات وظلّوا على طبيعتهم.

أمّا إحدى صور التحوّل التي بعثت لنفسي الأمان، هي أنّ من الممكن أن تنتقل روح الانسان من جسد عاش حياته ظالمًا للناس، إلى روح في جسد شخص مظلوم. إنّها (الكارما) كما أسمّوها.

أمّا أحد الفلاسفة، كان يدّعي أن الروح هي كلمة بالغوا في تقديرها وهي مجرّد روح ستفنى وعند الموت ستتحول تلك الروح الى ذرات دقيقة ثمّ تتبدد وتنتهي.

إنها كانت طريقته ليخفف عبء الموت على الانسان، ولينهي عقدة الانسان الأبدية تجاه الموت، لذلك جعلو منه فيلسوف في ذاك الزمان.

فأعظم المخاوف، الخوف من المجهول.

إنّ النظرية تلك أربكتني أكثر من فكرة الموت، فكرة أننا مجرّد أجساد وارواح

ستفنى في الآخر، تقلل من تقديري لنفسي وتزيد في داخلي فكرة العبثيّة.

أسموه في زمانه «الفيلسوف الضاحك»، ولكنّه في الحقيقة كان مكتئبًا إلى حدٍّ أنه جعل من نفسه مادة من ذرات،ستفنى.

وجماعة من التعيسين اتّفقوا أن الموت هو كفّ الحياة عن إتعاسهم أكثر، وهو النهاية العادلة لهم وما بعد ذلك سيَحظوا بالسلام بطريقة ما.

كلامهم إلى حدٍّ ما أرضى المنطق الخاصّ بي، ولكن ليس بشكلٍ كامل.

فالتعيسين ليسوا محاور الكون كما اعتقدوا، لا تدور حقيقة الموت حول معاناتهم وحدّ النهاية لها.

ولكن بشكل ما، كانوا الأكثر منطقية من بين الاسبقين.

مرّت أيام على غياب نعسان، حتى في يوم ما، أصحو لأرى نعسان في قفصه نائم.

يبدو أنّه لديه حيل كثيرة ليهرب ويعود، على الرغم من أنّ الباب مقفل.

القطط هم الأكثر مكرًا، ليسوا الثعالب.

بعد أن استيقظ السيّد نعسان (أسميته سيد لإنه يملك الشخصية الأقوى من بين الذين قابلتهم في حياتي)، اتّضح لي أنه بحاجة للطعام، فأحضرت له، بدا لي أن نعسان لم يأكل من يومين ولا حتّى من نفايات الشارع.

ليعود ليفرّ مثل السابق.

كرّر نعسان تلك الأفعال أكثر من مرة، حتى وصلتني فكرته.

نعسان عقد معي اتفاق، سأتركه حرًّا مقابل أن يعود ويحقق لي بعض الاتزان، ويحظى هو بوجبات غذاء.

كانت خطّة قائمة على مصالح مشتركه بيني وبين نعسان، ولكنها كانت ناجحة.

إنّ أكثر ما يُعجبني في نعسان، روحه الحرّة.

تبعًا لنظريّة (تناسخ الأرواح) أظنّ أن نعسان كان في حياته السابقة امرأة مسلوبة الحريّة، و لتحقق كمالها الروحي تحولت لقطة في حياتها الحالية.

صديقي فارس أظنّه كان شخص مرفّه،ثري، وليحقق كماله الروحي تحول في حياته الحالية لشخص كادح،لا تكفّ المصائب عن اللحاق به.

أما رئيسي في العمل فأظنّه كان جماد من الجمادات في حياته السابقة، وروحه في حياته الحاليّة ما زالت فيها طباع الجمود، أظنه في حياته الأخرى سيكون المظلوم تبعًا لقانون (الكارما).

أمّا أنا فأعتقد أنّ روحي ما زالت في حياتها الأولى، لا حيوات سابقة لي.

ولكن إلى حدٍّ ما، يرفض داخلي تلك النظرية التي تُدعى (تناسخ الأرواح) أظن أنّ حياة واحدة كافية لنصل للكمال الرّوحي.

فالحياة الواحدة فيها الكثير، لا نحتاج الى حيوات أخرى حتى وإن كانت حياة

بجودة أفضل.

فالذي عاش الحياة، أدرك قيمة الموت.

ما المغزى من أكثر من حياة واحدة ؟ أظن أنني سأضجر، فشخصيّتي ملولة جدًّا، وأهوى النهايات أكثر.

لا اهواها بالحقيقة ولكن أجدها مُريحة للنفس، وكأنك وأخيرا بعد غرق وجدت ما ترتكز اليه، تلك هي النهاية.

أمّا أنا عن نفسي بعد أن عِشت تسعة وثلاثين سنة بتلك الروح، بذلك الجسد، أظنّ أنني لن أنتمي لجسد آخر في حياة أخرى، ولا أشعر بأن روحي ستتفتت ذراتها وتفنى في اللاوجود.

إنني أؤمن بوجود النهاية، النهاية الوحيدة، في الحياة الواحدة، وأنا وجسدي وروحي كلّنا سننتقل سويًّا إلى ذات النهاية، الجنّة.

قَرَرْتُ انْ اُؤْمِنْ فِي الْجَنَّةِ